

الحربية والبحرية . . .

فهل تنظر حكوماتنا الشرقية ، وهلاً يرى قادة الافكار منا الحاجة الى ترقية حال عمالنا والسهر على مصالحهم ، والدود عن حقوقهم فلا يبقوا في ايدي اصحاب العمل آلة مسيرة ، حتى اذا ما ادت الخدمة المطلوبة او تعطل سيرها طُرحت خارجاً

وسنأتي في العدد القادم على بعض ما يتعلق بالاعتصابات

كيف ترتقي

(اللغة العربية)

نشرنا في الجزء السابق ص ٣٤٣ القسم الاول من مقالة حضرة صاحب الامضاء وفيه لمحة عن حالة الآداب العربية في ايام الجاهلية وعلى عصر الخلفاء . وهذا هو القسم الثاني وفيه بحث في الوسائل الواجب اتخاذها لترقية هذه اللغة :

ان ارتقاء آداب اللغة العربية يجب ان يتم بسلام ذات ثماني درجات ، لا غنى للواحدة عن الاخرى فيها ولا يمكن الوصول الى قمة نجاحها بغيرها وهي : الدولة والامة والمدارس والصحافة والتأليف والمجتمعات العلمية والمكاتب . واليك الكلام على كل منها باختصار

(١) الدولة - لا خفاء ان اللغة ترتقي بارتقاء الدولة فهي التي تذود عن حوضها وتحمي ذمارها . ومن يجهل نهضة العباسيين في الشرق ، والامويين في الاندلس ، والفاطميين في القاهرة ، والايوبيين في بلاد العرب . بل من يجهل نهضة الفريين بحكوماتهم ، وتميزهم للغاتهم

باستخراج دفائن الكتب من الخزائن القديمة ونقلها الى لغاتهم ، وتقريب العلماء واجراء الرزق عليهم ، وارسال النساخ الى كل اقليم ينسخون ما فاتهم من المؤلفات حتى ملأوا المكاتب ورقوا آداب اللغة وعقدوا لذلك مجامع من علماء استقدموهم من اطراف مملكتهم . فهكذا ترقى الدولة آداب لغتها وترفع منار آدابها ، وتشرها بين ظهرائي الناطقين بها ، فتساعد المؤلفين وتمنحهم امتيازات لحفظ حقوق مؤلفاتهم استثماراً لها . فتكثر الرغبات في وضع المؤلفات العائدة على العربية بالنفع والمرقية لآدابها والناشرة للعلوم العصرية فيها . وطالما نرى عندنا ان زياداً يؤلف كتاباً فيغير بعض عباراته عمرو ويطبعه . أو انه ينسج على منواله مستميناً بأسلوبه ويزاحمه فيه . فعلى آداب العربية السلام وعلى اللغة العفاء . بل طالما نرى المدارس والمؤلفات لا نظام يوحد مبادئها فلا أمل في احياء اللغة بيدنا على هذه الخطة

(٢) الامة — يجب ان تكون حريصة على لغتها شديدة الغيرة عليها . ومن سوء الحظ ان معظم المتعلمين عندنا والمعلمين ينظرون الى لغتهم شزراً . فكيف ينتظرون من الحكومة ان تساعدهم ؟ واذا لم يعتقد كل عربي انه من المعيب ان يتعلم الانسان اللغات الاعجمية وهو يجهل لغته ، فلا أمل في الاصلاح . ولرب معترض يقول وما النفع من لغتنا العربية مع كساد بضاعتها ؟ فاقول لمثل هذا المعترض ان الناطق باللغة العربية لا يستغني ، مهما تسرت له الذرائع خارج موطنه ، عن العودة اليه . فبأي لغة يخاطب قومه ويكاتبهم ويخطب فيهم ويفاوضهم ؟ واذا شاء كتابة شيء في موضوع واراد تعريبه فأي لباس يلبسه وبأي قالب يسكبه .

أليست اللغة العربية هي التي أوحى الى شاعرها ان يقول بلسانها :

كلامي عقارٌ عُنُقْتُ تم رُوِّقَتْ وبعض كلام العارفين عصيرٌ
اذا ظهرت يوماً بزاةً خواطري فما لعصافير الطريق صفيْرٌ

وهي التي وصفها الآخر بقوله :

ذَكَرْتُ فصغرها المدول جهالةً حتى بدت للناظرين فكبرا

(٣) المدارس — المدارس قديمة في العالم من زمن فلاسفة اليونان.

ومن اقدم ما قام عند العرب منها « كلية القيروان » في مدينة فاس عاصمة

بلاد المغرب في افريقية ، اسست في القرن التاسع للميلاد ونشرت العلم

في اوربا ، ثم الجامع الازهر سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) والمدرسة المستنصرية

في بغداد سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ م) ، فضلاً عن مدارس هرون الرشيد في

بغداد والمدن الشرقية ومدارس الاندلس في قرطبة وغيرها من المغرب .

ومدارسنا الحاضرة فلما تعتمد في تدريسها العلوم على اللغة العربية بل تدرسها

بالفرنجية وهذه ضربة قاضية باماتة اللغة وتوقيف نموها والاجهاز عليها ،

لان اللغة اشبه بشجرة ، تقطع بعض فروعها ، وتثبت غساليج جديدة

وتؤبر (تطعم) لئيم خصبها . فالأولى بنا ان ننقل العلوم المصرية على

اختلافها الى لغتنا العربية فتتوسع اللغة الفاظاً وتكثر الاوضاع فيها ويشد

ازرها . وان قيل ان دون ذلك عقابات تعترضنا ، فقل ان المرء من مهْدِ

العوائق وذل المصاعب . فهذه كتب مطبعة بولاق في اول عهدنا ، وكتب

المدرسة الكلية الاميركية في بيروت في بدء نشأتها ، شاهدٌ على سهولة

التعريب ووضع الالفاظ للمسميات الغربية في العلوم الطبية والرياضية

والطبيعية ، يساعدا على ذلك الاشتقاق والنحت في العربية وهما من امتن دعائمها للمتأمل المحقق . وربما اعجزنا وضع كلمة عربية لمسمى افرنجي فيكفي ان نبقية على اصله بعد تقريبه من الصيغ العربية كما فعل العربون في عهد الدولة العباسية وما بعدها ، فأدخلوا الفاظاً كثيرة اغنت اللغة

(٤) الصحاف - ليست الصحافة بيننا بتجاوزة اول القرن التاسع عشر الماضي وقد اخذت على نفسي البحث في تاريخها (بمجلة النعمة) الارثوذكسية في دمشق ونشرت الدور الاول منها من سنة ١٨٠٠ - ١٨٧٠ م وسأتابع البحث فيه والنظر في ما افادتنا الصحافة في ادوارها . وقد قدرت ان ما أنشئ من الجرائد ، - ميتةً وحيةً - باللغة العربية حتى الان زهاء ثمانمائة جريدة . ولكن الجرائد الحية لا تكاد تتجاوز المائتين بين مجلة وجريدة في جميع اطراف المعمور . فهل افادتنا وتفيدنا الصحافة ؟ قال العلامة مكولي الانكليزي « ان كتاب الجرائد هم مشتركوها ، فاذا نظرنا الى حالة المشتركين بصحائفنا ، لا نستطيع ان نحكم بتلقي الصحافة لقلة الرغبة في الجرائد وعدم تمييز المفيد منها عن المضر . كيف لا ولن يزال تهجم كتابنا على فن الصحافة وليس لديهم رأس مال علمي ولا مادي كافٍ هو السبب الاولي في انحطاطها . وقلما اجتمع للصحافي المال والعلم معاً . فبانفراد احدهما تتحول الجرائد اما الى تجارية لتحصيل المال ، وإما الى اكتساب الشهرة للمتمول . وفي الامرين الغرور بالنفس فليس اذن من اغراضها الاولية خدمة الشعب واللغة . فضلاً عن ان كثيراً منها تصرف جل اهتمامها الى التعامل والتشيع وبث روح الشحناء

فتضيع الفائدة المنتظرة منها ، وتقل ثقة الشعب بها . اللهم الا بعض الجرائد التي اتخذت لها خطة معتدلة وثبتت في رواية اخبارها ووضعت الصدق نصب اعينها . ولكنها قليلة لا تستطيع سد الثلم التي تخرقها تلك

واحسن دواء لذلك انشاء مدارس للصحافة ومؤتمرات لها تبحث في اسباب ترقيا كما هو جارٍ عند الامم الراقية . فتكون الجرائد صادقة المبادئ ومنشئوها ومراسلوها يوافقون مبادئها . فلا ينشئ مجلة او جريدة الا من ترشح لهذا الفن ردحا من الزمن وعرف أصوله . وحبذا لو عرب بعض ادبائنا اليوم كتابا في فن الصحافة من كتب الافرنج . وان كنا نحس فيه رواية غرامية تثير نفعا وتمنع نفعا . فيستلفت الانظار الى آداب الصحافة

(٥) المطابع — الطباعة حديثة عندنا لا تتجاوز القرنين والعقد الاول

من الثالث . أما الافرنج فقد عرفوا الطباعة العربية على اثر اختراع المطبعة عندهم ، وطبعوا كثيرا من المؤلفات التي لن تزال الى اليوم نادرة مرتبة مفيدة . ومعظم مطابعنا الآن انشئت بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الماضي وكثير عددها . ولكننا نرى معظمها تجارية ، تطبع الكتب دون مقابلة على اصحابها ولا تدقيق باصلاحها ، فتخرج مشحونة بالاغلاط غير متقنة الطبع ولا الورق ولا الترتيب ، مع غلاء في اثمانها فلا يقبل الناس على اتياعها فيدعي واضعوها كساد بضاعة العلم

فما افضل الذرائع المتخذة لترخيص اثمان المطبوعات والاقتصاد بالحروف العربية ، لتروج الطباعة والكتب ويقبل الادباء على التأليف والناس على المطالعة . ومما اذكره بأسف ان المرحوم الشاعر الناثر رزق الله

حسون الحلبي الذي نشرت ترجمته في مقتطف هذه السنة ، كتب مقالات ضافية ، استنسخت احداها وهي في الاقتصاد المطبعي باختصار بعض حروف ليقل عددها فيسهل العمل على المنضد (الصفيف) وترخص نفقات الطبع ، فلم يلبّ دعوته أحد . ومثله فعل المرحوم العلامة الشيخ ابرهيم اليازجي في وضع الحروف الاقتصادية ، قبل مغادرته سوريا وانتقاله الى مصر والحرف باق في مطبعة خليل افندي سر كين الأدبية لم ينضد منه الا صورة اعلان في الجرائد على اثر وضعه ، وشروح «نجمة الرائد» التي طبعت اولاً في تلك المطبعة وأعدمت عند حريقها .

ومما تؤاخذ عليه مطابعتنا عدم وضع فهرس للكتب فيتشوش الطلب على المطالع وتنكش نفسه وينقبض صدره . فضلاً عن انها اذا طبعت كتاباً كان قد طبع في اوربا وذيل بحواشٍ وفهارس وملاحظات مفيدة ، حذف كل هذه الزوائد ، زاعمة انها فضلات ، مع ان لها المقام الاول في التأليف . وما ذلك الا لاننا نقصد السرعة في العمل للكسب لا لخدمة اللغة . واذكر انني رأيت «كشف الظنون» طبع اوربا وعليه تعاليق مفيدة وله فهرس تقرب على المطالع بعيد مطالبه . ثم رأيت مطبوعاً في مصر والاستانة وليس فيه غير فهرس المواضيع . وكذلك كتاب «المعجب في تلخيص اخبار المغرب» فانه مطبوع في اوربا بتعليق وفهارس ومجدد طبعه في مصر منذ بضع سنوات وليس فيه الا فهرس صغير جداً . وهكذا قل في رحلة ابن بطوطة وابن جبير وغيرها وهذا مثلاً كتاب «حياة الحيوان الكبرى للدميري» المطبوع في مصر . لا يفهم منه المطالع شيئاً ،

حتى يقرأه تباعاً صفحةً صفحةً . مع انه لو كلف أحدٌ بدرسه ووضع
فهارس لما حواه من المباحث الكثيرة في أعلام الحيوانات والتراجم
والاقاصيص والفكاهات والاشعار والاسجاع ، لقربت الفائدة من
مطالعه

ومع ذلك فقد رأيت قليلاً من الكتب المطبوعة في مصر قد اقيت
فهارسها مثل (طبقات الاطباء) لابن أبي أصيبعة وغيره
ولا يجب ان ننسى عناية كثير من المطابع المصرية والبيروتية في
الاتقان والترتيب والنظافة . ولكن نحب ان يعم هذا السعي المحمود بيننا
ترغيباً للمطالعين وتقريباً للاستفادات . وأهم ما نستلفت اليه المطابع
اصلاح الاغلاط والتدقيق

(٦) التأليف - نريد بالتأليف ما يشمل وضع الكتب
وتلخيصها او تعريبها . ونحن في أشد حاجة ماسة الى وضع كتب مدرسية
على نظام موحد ، وكتب تهذيبية ومعجمات غنية بالاصطلاحات
والحدود العلمية ، معرضة عن الالفاظ المائتة والبديثة . والى مؤلفات في
العلوم الطبيعية كالفلك والجيولوجيا والتاريخ الطبيعي والكيمياء والفلسفة
الطبيعية والطب والجراحة والصيدلة والنبات الخ . والى مؤلفات في العلوم
الادبية كالاقتصاد السياسي وعلم الاخلاق والترية والعمارة وآداب
السلوك والتاريخ وفلسفته والآثار القديمة وتدير المنزل وتاريخ الاكتشافات
والاختراعات

ومن أهم ما يجب التأليف فيه « تاريخ آداب الغربية » فان للافرنج

كتباً كثيرة في هذا الفن . وليس بين ايدينا كتاب وافٍ يبحث عن لغتنا وترقيها وانحطاطها

ومن أمثل ما يعال عن تأخرنا في التأليف ، عدم اقبالنا على غير القصص والروايات . فهذه « نجمة الرائد » وضعتها مؤلفها منذ عشرات من السنين ، ولم يباشر طبعتها حتى آتت بعض الاقبال عليها والمساعدة في نشرها ، ذات قبل اتمام طبعتها ، وطوي الجزء الثالث منها الى أجل غير مسمى . ومثلها كتاب « تنوير الازهان في علم الحيوان » لزميله الدكتور بشارة ززل الذي مات قبل ان يتم بعض كراريس منه . ولو كان طبعة منذ اعوام لأنجزه بحياته ، واستفدنا من اوضاعه العلمية وفي هذين الكتاين غنى للغة

ومما اذكره من هذا القبيل اني وضعت منذ عشر سنوات ونيف كتاباً في تاريخ آداب اللغة العربية سميته « الطرف الادبية » وانفقت وقتاً طويلاً لجمعه من تضاعيف اسفار افرنجية وعربية ، وهو الى الآن مطوي امره وربما بقي هكذا الى يوم النشور

(٧) **المجامع العلمية** — عرفت هذه الاجتماعات باسم الاكاديميات نسبة الى اكاديميوس اول من انتبه الى البحث في الاجتماعات . واول من اسس مجماً علمياً افلاطون في القرن الخامس قبل الميلاد . وعقد العرب سوق عكاظ ومربد البصرة لهذه الغاية . وعرفت الاكاديميات في اوربا في النصف الاول من القرن السابع عشر بعناية الكردينال ريشيليو ، وزير لويس الثالث عشر ملك فرنسا . ومن اللجان العربية « اللجنة العلمية

المصرية « أسها نابليون سنة ١٧٩٨ م ولن تزال الى عهدنا . وانشأ الامركان في بيروت مع بعض المواطنين « الجمعية السورية » سنة ١٨٤٧ م فبقيت بضع سنوات وعطلت . وبعد سنة ١٨٨٠ أعيدت باسم « المجمع العلمي الشرقي » وعطلت ايضاً . ثم انشئت « الدائرة العلمية » في مدرسة الحكمة المارونية وعطلت . وسنة ١٨٩٣ انشأ المصريون مجماً لغوياً علمياً للبحث في الاوضاع العربية فقرروا فيه بعض الفاظ وتعطل . والى الآن لم يتم مجتمع علمي يسمي في الاوضاع والتعريب وحاجات اللغة . ولعل ادباءنا يسعون اليوم بسد هذه الثلمة اذا اجتمعت كلمتهم وتوحدت مبادئهم وانتخبوا اعضاءه من كل ملة ومشرب ووطن والا فلا مجتمع عربي يذكره التاريخ في آدابنا العربية

(٨) المكاتب - المكاتب قديمة في العالم كثيرة النفع للغات . وقد اعتنى العرب بتأسيس كثير منها في ايام نهضتهم ، كمكتبة قرطبة ، ومكاتب بغداد ودمشق والقاهرة . ويذكر المؤرخون انه كان في صدر القرن الخامس للهجرة نحو سبعين مكتبة في الاندلس . ولقد اعدمت النكبات مكاتبنا ، وما بقي من نفائس المؤلفات حمله الافرنج الى بلادهم فاغنوا مكاتبهم بآثارنا . ولولا وجود المكتبة الخديوية بمصر وبعض مكاتب الاستانة ودمشق وفاس وبغداد وحلب وبيروت وطور سينا ، لكانت المكاتب عندنا اثراً بلا عين . على اننا في حاجة شديدة الى انشاء مكتبة عامة في احدي مدننا الكبرى تضم شتات المؤلفات الشرقية بقية الدارجين من قومنا ، فنستنسخها من مظانها ونجمع شملها ، فنحفظ كثيراً

من الكتب التي لا توجد الا نسخة منها في احدى المكاتب فاذا نكبت
خسر العلم خسارة كبيرة. ويجب تنظيم جمعية لطبع الكتب النفيسة
والتدقيق بمعارضة نسخها ومقابلتها كما فعلت شركة طبع الكتب المصرية
في طبع « المخصص » لابن سيده في ١٧ مجلداً « وفتوح البلدان »
للبلاذري وغيرها

هذه السلم المثلثة الدرجات التي يمكن ان نصعد عليها الى قمة مجد اللغة
وفي اعتقادنا ان المرتقي عليها لا يجب ان يترك درجة الا وعر بها، لان
الطفرة محال. والله يتولى من امورنا السداد، ويفتح لنا ابواب التجاح
خدمة للغة التي نفتخر باننا نطق بضادها، بمنه وكرمه.

عيسى اسكندر معلوف

لبنان

الحرية

زرت صاحباً لي منذ ايام ، فالفيت لديه بلبلا سجيناً في قفص ام يفرده
نشيداً محزناً كأنه من قلب منزهة ألم الفراق ، ويضرب اسلاك تسجنه
بجناحيه آملاً ان يرى له تخرجاً من ذلك المضيق ، ولم ينزل يفرده شاباً كياً
ويصيح باكياً ، ويتنقل في قفصه بسأم ، ويضرب الاسلاك بالمدحني ، حتى
اخذ منه التعب مأخذه. فانشاه طريف التعب تليد الاسر.

وقد زرت صاحبي هذا اليوم . فوجدت القفص خالياً من الفريد .
فسأله عنه ، فابأني انه قد انتحر.